

دورة علمية في علوم الحديث - جامع حي جوهرة مقرين

شرح ثلاثيات البخاري

المجلس الثاني

أ.علي بن أحمد العلايمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني: مباحث حول علم الإسناد.

الفصل الأول: عناية العلماء بالإسناد وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية : وفيه أربعة مباحث.

ــ المبحث الأول : تعريف الإسناد.

ــ المبحث الثاني : الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية.

ــ المبحث الثالث : أهمية الإسناد وعناية العلماء به.

ــ المبحث الرابع: أثر عناية العلماء بالإسناد في حفظ السنة النبوية.

المبحث الأول: تعريف الإسناد

الإسناد في اللغة: مصدر أَسْنَدَ. تقول: أَسْنَدَ في الجبل: صَعِدَ فيه [1] ، معناه ما يُستند عليه ويُعتمد عليه.

والسَّنَدُ لغةً: ما ارتفع عن الأرض من قبل الجبل أو الوادي، وأسند الشيء رفعه.

والإسناد في الرواية: رفع الكلام إلى قائله. ويراد بالإسناد في القراءة بسط أسماء الرجال الذين قرأ عليهم القارئ وأخذ عنهم، إذ لا تقبل رواية" بغير إسناد"

وفي الاصطلاح: وهو سلسلة الرواة الذين ينقلون الحديث أي المتن. وقال بعض العلماء:هو رفع الحديث إلى قائله [2].

قال ابن جماعة : «هو حكاية طريق المتن» .

قال ابن حجر : «هو الإخبار عن طريق المتن» .

السند = الطريق = الإسناد = الوجـه

مآخذ على تعريف السند بقولهم : «سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن»

قوله «سلسلة»: خرج بها كل ما هو غير متصل ، إذ هذه صفة السلسلة .

[1]) انظر: القاموس المحيط: (ص370) ، ولسان العرب: (221/3) .

[2]) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي لبدر الدين بن جماعة: (81/1) ، والخلاصة في أصول الحديث للطيبي: (ص33) .

قوله «الرجال» : خرج بها ما تحمله النساء دون الرجال .

قوله «الموصلة إلى المتن» خرج بها :ـ أدوات التحمل «لم تذكر في التعريف وهي أحد جزئي الإسناد» .

ـ طرق التحمل «خرج منها الوجادة وغيرها» .

مثال ذلك: قول الإمام البخاري في صحيحه: "حدثنا **مسدد، قال:** حدثنا **يحيى،** عن **شعبة،** عن **قتادة، عن أنس** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "*لا يُؤْمِنُ أَحدكُم حتى يُحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لِنفْسِهِ*" [3] .

فالمتن قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يُؤْمِنُ أَحدكُم حتى يُحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لِنفْسِهِ ".

والسند هم رواة المتن: مسدد، يحيى، شعبة، قتادة، أنس.

والإسناد هو قول البخاري: حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ [4] .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، حيث إن عملية الصعود من أسفل الجبل إلى أعلاه يتطلب التدرج في الصعود شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى أعلاه، وكذلك إسناد الحديث إلى قائله يبدأ الراوي به من شيخه ثم شيخ شيخه ... وهكذا يرتقي من شيخ إلى آخر حتى يصل إلى منتهاه.

والإسناد بهذا المعنى هو المراد بقول بعض العلماء: "الإسناد من الدين" وقولهم: "الإسناد من خصائص هذه الأمة" كما سيأتي في المباحث الآتية.

مثال توضيحي لشجرة حديث: « إنّما الأعمالُ بالنياتِ»



---

[3]) صحيح البخاري: (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 12/1 رقم 13) .

[4]) انظر: توجيه النظر لطاهر الجزائري: (ص25) ، والإسناد من الدين لأبي غدة: (ص14) .

المبحث الثاني: الإسناد من خصائص الأُمة الإسلامية:

أكرم الله عز وجل الأُمَّة الإسلامية بخصائص كثيرة، فضلها بها على غيرها من الأمم، قال تعالى: {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**}[5]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "*أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله*" [6] .

ومما خص الله عز وجل به هذه الأمة: الإسناد، نقل الثقة، عن الثقة حتى يبلغ به النبي ﷺ. هذه الخَصِيْصة انفردت بها هذه الأمة، وامتازت بها عن غيرها من الأمم. روى الخطيب البغدادي، عن محمد بن حاتم بن المظفر أنه قال: "إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات ... "

قال **أبو علي الجياني** 7 :" خص الله عز وجل هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب)[8]. أما المسلمون فإنهم تناقلوا شريعتهم عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تناهى بهذه الطريقة إلينا، ونحن في القرن الخامس عشر الهجري.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية الحراني**: "وعلم الإسناد والرواية مما خصه الله به أمة محمد صل اهه عليه وسلم وجعله سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأئمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنّة أهل الإسلام والسنة يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والمقيم. وغيرهم من أهل البدع والكفار، إنما عندهم نقولات يأثرونها بغير إسناد وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل. وأما هذه الأمة المرحومة وأصحاب هذه الأمة المعصومة فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين، فظهر لهم الصدق من المين كما يظهر الصبح لذي عينين"(9).

---

[5]) آل عمران:110.

[6]) رواه الإمام أحمد في المسند: (219/33 رقم 20015) ، والترمذي: (226/5 رقم 3001) ، وابن ماجه: (1433/2 رقم 4288) ، وحسنه الترمذي والألباني في صحيح الترمذي (رقم 2399) وصحيح ابن ماجه: (رقم 3461) .

[7] أبو علي الحسين بن مُحَمَّد الجياني (427 هـ-498 هـ) ، كَانَ إماماً في الْحَدِيْث ، وبصيراً بالعربية والشعر والأنساب، لَهُ كتب مفيدة مِنْهَا :" تقييد المهمل "

[8] التدريب ص (359)

[9] مجموعة الفتاوى: 9/1.ومما يؤكد كلام شيخ الإسلام في "ان المبتدعة ليس لهم إسناد" قول العلامة الملا محمد جلي زاده في كتابه المصقول في علم الأصول (تنبيه: حيث اعتبر الأهلية في الإفتاء فلا أهل للإفتاء في الأقطار الكردية، إذ لا سند لهم وللعرب الحجازية والمصرية زيادة اعتناء بالأخذ من العلماء لكن تلاميذنا يشتغلون بأنواع العلوم ويعتمدون في الفقه على قوتهم العملية، لكن المعتنى به السند وهو مفقود) ص (171) وقد رأينا أكثر علماء الأكراد يهتمون بالمنطق والأصول والكلام ولا يدرسون القرآن والحديث.

قال **الزهري**:"أيُرقى السطح بلا سلم"[10]، يعني أن الأحاديث بلا إسناد ليس بشيء وإن الإسناد درج المتون به يوصل إليها[11].

قال **الشافعي**: "مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري"[12].

وأخرج الحاكم في المدخل عن أبي بكر الهذلي قال: "قال الزهري: يا هذلي أيعجبك الحديث؟ قلت نعم، قال: أما إنه يعجب ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم" [13].وقال يزيد بن زريع: "لكل دين فرسان وفرسان هذه الدين أصحاب الأسانيد"[14].

وقال **سفيان الثوري**: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل" وقال أيضاً "أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح"[15].

قال **ابن سيرين** رحمه الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[16].

وهذا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق يناظر رجلاً "قال الشيخ: حدثنا فلان، فقال له الرجل دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا، فقال له الشيخ: قم يا كافر ولا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا، ثم التفت إلينا فقال: ما قلت لأحد لا تدخل داري إلا هذا"(17).

قال محمد بن أسلم الطوسي: "قرب الإسناد قرب إلى الله عز وجل فإن القرب من الرسول بلا شك قرب إلى الهل عز وجل"(18).

قال إبراهيم ابن أدهم: "إن الله ليرحم هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"(19).

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله:

---

(10) شرح علل الترمذي:ص (88).

(11) الكفاية للخطيب البغدادي: ص (557).

(12) المدخل في أصول الحديث للحاكم: ص (2).

(13) المدخل في أصول الحديث: ص (2).

(14) المصدر السابق: ص (3).

(15) المصدر السابق: ص (3).

(16) مقدمة صحيح مسلم ص (15).

(17) المصدر السابق.

(18) فتح المغيث: 335.

(19) تدريب الراوي: 144/2.

ما لذتي إلا رواية مسند قد قيدت بفصاحة الألفاظ

مجالس فيها عليّ سكينة من ربهم برعاية وحفاظ

لاظوا برب العرش لما أيقنوا أن الجنان لعصبة لواظ

قال عبد الحي الكتاني(20):

بقلائد الإسناد كن متقلداً وبقرطه متقرطاً ومشنفاً

قال العلامة مرتضى الزبيدي: "ثبت عند أهل هذا الفن أنه لا يتصدى لإقراء كتب أهل السنة والحديث قراءة دراية وتبرك ورواية إلا من أخذ أسانيد تلك الكتب من أهلها ممن أتقن درايتها وروايتها ورحل إلى البلدان فظفر بعوالي المرويات وباحث الأقران فأحاط بمدارك الدرايات وجلس بمجالس الإملاءات على الركب وتردد إلى المشايخ بالخضوع والأدب، وهذا الآن أقل من القليل"

قال ابن رحمون: "كان من سنة علماء الحديث طلب الإجازة في القديم والحديث حرصاً على بقاء الإسناد ومحافظة على الشريعة، وهي التي نسيت في هذه الأعصار، وأهملوا السند والإجازة وحسبوا أن العلم بمجرد التدريس والحيازة"(21)

قال علامة العراق محمد جلي زاده الكويي: "ومن لا سند له لا يجوز له النقل ولكن الناس عن هذا لغافلون"(22).

المبحث الثالث: أهمية الإسناد وعناية العلماء به

تقدم في المبحث السابق أن الإسناد خَصِيْصَة من خصائص هذه الأمة، وأن الأُمم السابقة لم يعتنوا بالأسانيد، ولم يعتمدوا في أخذ دينهم على نقل الثقة، عن الثقة، لذلك وقع التحريف في كتبهم، وأُدخل عليهم في دينهم ما ليس منه.
وقد أرشدنا الله عز وجل في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم إلى تحري الصدق والحذر من الكذب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] .
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات:6] .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليَّ متعمداً فَلْيتبوَّأْ مقعده من النار". رواه البخاري ومسلم .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حدث عنِّي بحديث يُرَى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذِبِين" رواه مسلم .

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري رحمه الله: "فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له – يعني أهل الحديث – وكثرة مواظبتهم على حفظه؛ لدَرَسَ منارُ الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث، وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تَعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتْراً"

(20) فهرس الفهارس: 833/2.
(21) فهرس الفهارس 1/81-82.
(22) المصقول في علم الأصول: ص (81).

المبحث الرابع: أثر عناية العلماء بالإسناد في حفظ السنة النبوية

ألمحت في المباحث السابقة إلى أهمية الإسناد وعناية العلماء به، ولا شك أن هذه العناية أثمرت ثماراً طيبة، وكان لها أكبر الأثر في حفظ السنة النبوية، ولا يمكن تعداد هذه الثمار واستيعابها في هذه العجالة، ولكن أذكر نماذج لتلك العناية وأثرها في حفظ السنة النبوية. فمن ذلك:

أولاً: الرحلة في طلب الحديث، وهي ثمرة من ثمار العناية بالإسناد حيث نشط المحدثون في الأسفار، وقطعوا الفيافي والقفار في طلب الحديث وجمعه من أفواه الرجال، فربما رحل الرجل الأيام والليالي في طلب حديث واحد =، ولهم قصص مشهورة في ذلك تدل على حرصهم واجتهادهم في طلب الحديث وتدوينه = ، وكم من رجل لو لم يقيض الله عز وجل المحدثين للرحلة إليه والأخذ عنه، لمات حديثه معه، ولم يستفد منه أحد.

ومن فوائد الرحلة في طلب الحديث أيضاً: تحصيل الأسانيد العالية بمشافهة كبار الشيوخ، وتقليل الوسائط في نقل الحديث، فيكون أقرب إلى السلامة من الخلل، وفي ذلك حفظ للسنة =.

ومنها: تكثير طرق الحديث الواحد بسماعه من عدد من الشيوخ في أماكن مختلفة، فقد يوجد في بعض الطرق ما لا يوجد في الطرق الأخرى، والحديث يتقوى بكثرة الطرق. قال الإمام أحمد بن حنبل: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضُه بعضاً".

ثانياً: عُني المحدثون بسلاسل الأسانيد وأصبحت معروفة لديهم، فميزوا بين مراتبها، وحفظوا أحاديثها، فمن رام إدخال حديث فيها ليس منها كشفوا أمره، ووجهوا سهام النقد إليه، ولم تقتصر عنايتهم على سلاسل الأحاديث الصحيحة، بل عُنوا أيضاً بسلاسل الأحاديث الضعيفة والموضوعة فحفظوها؛ خشية أن تختلط بالأحاديث الصحيحة، فاستطاعوا بذلك التمييز بين الصحيح والسقيم، وحفظ الله عز وجل السنة النبوية بتلك الجهود المباركة، فمن ذلك على سبيل التمثيل:

1 . أصح الأسانيد مثل:

مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ومحمد بن سيرين، عن عَبيدة السلماني، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

2 . الأسانيد التي لا يثبت منها إلا شيء يسير، مع أنه قد روي بها أكثر من ذلك مثل:

لزبير بن عدي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم. له عنه أربعة أحاديث أو خمسة، وروى محمد بن زياد بن زَبَّار، عن بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس نحو عشرين حديثاً مسندة.

قال أبو حاتم الرازي: "هي أحاديث موضوعة، ليس يُعرف للزبير، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أربعة أحاديث أو خمسة أحاديث ... "

وقال ابن حبان في ترجمة بشر بن الحسين: "يروي عن الزبير بن عدي نسخة موضوعة، ما لكثير حديث منها أصل يرويها عن الزبير، عن أنس، شبيها بمائة وخمسين حديثاً مسانيد كلها ... روى عنه حجاج بن يوسف بن قتيبة تلك النسخة"

3 . الأسانيد التي لا يثبت منها شيء – مع ثقة رجالها – مثل:

قتادة، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

هذه السلسلة قال البرديجي: "لا يثبت منها حديث أصلاً من رواية الثقات" .

أوهى الأسانيد، مثل:

أوهى أسانيد أهل البيت: عمرو بن شِمِر، عن جابر الجعفي، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وهذه الأقوال المتقدمة وغيرها كثير، يدل على عناية المحدثين بالأسانيد، وحفظهم لها، ويدل أيضاً على استقراء تام، وتتبع دقيق، حصل لهم بعد طول ممارسة وعناء شديد في الجمع والتحصيل. "وكيف لا يكونون كذلك؟! وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وسَمَرهم المعارضة، واستراوحَهم المذاكرة، وخَلوقَهم المِدَاد، ونومَهم السُّهَاد ، واصطلاءهم الضياء، وتوسدَهم الحصى، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بُؤس، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تَعلُّم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السُّنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم" .

ومن آثار العناية بالأسانيد:

ثالثاً:- القدر الهائل من الكتب الحديثية المسندة، من صحاح، وسنن، ومسانيد، وموطآت، ومصنفات، وجوامع، ومستخرجات ومستدركات، ومعاجم، وفوائد، وأمالٍ، وأجزاء ... وغيرها كثير ، عُني مؤلفوها برواية الأحاديث والآثار الواردة فيها بالأسانيد، وتشغل تلك الأسانيد حيزاً كبيرا من الكتب المذكورة، بحيث لو جردت من أسانيدها لصارت في ربع حجمها.

في معنى العلو في الاسناد وفضله وأقسامه

معنى الاسناد العالى لغة":العالي اسم فاعل من "العُلُوّ" ضد النزول ، النازل اسم فاعل من "النزول".

معنى الاسناد العالى اصطلاحا":

الْاسْنَادِ الْعَالِيَ:هُوَ الَّذِيْ قَلَّ عَدَدُ رِجَالُهُ بِالْنِّسْبَةِ الَىَّ سَنَدَ آخَرَ يَجِيْءُ بِهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَدَدٍ أَكْثَرَ.

وضده الْاسْنَادِ النَّازِلِ:وهُوَ الَّذِيْ كَثُرَ عَدَدُ رِجَالُهُ بِالْنِّسْبَةِ الَىَّ سَنَدَ آخَرَ يَجِيْءُ بِهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَدَدٍ أَقَلَّ.

قَالَ نَاظِمُ الْبَيْقُوْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ مَا قُلْتُ رِجَالُهُ عَلَا ** وَضِدُّهُ ذَاكَ الَّذِيْ قَدْ نَزَلَا

مِثَالُ:

لَوْ انَّكِ قَابَلْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَحَدِّثَكِ عَنْ حَاتِمٍ عَنْ الْشَيْخُ وَحِيْدُ،ثُمَّ مَا لَبِثَتْ انّ قَابَلْتُ حَاتِمٍ فَحَدِّثَكِ عَنْ الْشَيْخُ وَحِيْدُ مُبَاشَرَةً ..فَالأَوَّلُ يُسَمَّىْ اسْنَادِ نَازِلٌ لِانَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْشَّيْخُ وَحِيْدُ واسْتُطِينَ وَالْثَّانِىَ اسْنَادِ عَالِىَ لِانَّهُ بَيْنَكَوَبَيْنَهُ وَاسِطَةٍ وَاحِدَةِ فَقَطْ وَهُوَ حَاتِمُ ..

مِثَالُهُمَا مِنْ كُتُبِ الْسُّنَّةِ :مَاأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِيْ صَحِيْحِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ : قَرَأْتُ أَنَّهُ τعَلَى مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِيْنَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : " كَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ "

قُلْتُ : عَدَدِ رُوَاةِ الْسَّنَدِ أَرْبَعَةٌ رُوَاةِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنَاهُ أَبُوْ بَكْرٍ بْنُ أَبِيْ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُوْ خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ " أَنَّ الْنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّيَ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ " .

قُلْتُ : عَدَدِ رُوَاةِ الْسَّنَدِ خَمْسَةٌ رُوَاةِ .

إِذَنْ الْسَّنَدِ الْأَوَّلِ هُوَ الْعَالِيَ ، وَالْسَّنَدُ الثَّانِيَ هُوَ النَّازِلُ ،فَالْعُلُوِّ وَالْنُّزُوْلِ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ. بِمَعْنَىً كُلَّمَا قَلَّ عَدَدُ الْرُّوَاةِ فِيْ الْاسْنَادِ (بَيْنَ الْمُصَنِّفُ وَبَيْنَ الْصَّحَابِيِّ اوْ الْرَّسُوْلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ الْسَّنَدُ عَالِيَا بِسَبَبِ انّ احْتِمَالِ الْخَطَأ فِيْهِ أَقَلّ. بَيْنَمَا اذَا كَانَ عَدَدُ رِجَالِ الْاسْنَادِ كَثِيْرٍ كَانَ احْتِمَالَ الْخَطَأَ اكْبَرُ..

فضيلة الإسناد العالي :

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِن عَبْدُاللَّهِ الْطِّيْبِيُّ: «الْإِسْنَادِ خِصِّيْصَة مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسُنَّةٍ مِنْ الْسُّنَنِ الْبَالِغَةُ، وَطَلَبُ الْعُلُوِّ فِيْهِ سُنَّةٌ –أَيْضا–، وَلِذَلِكَ اسْتُحِبَّتْ الرِّحْلَةِ وَعُلُوِّهِ بِبُعْدٍ مِنْ الْخَلَلِ وَالمتَطَرِّقَ إِلَى كُلِّ رَاوٍ»[23]أ.هـ

يَقُوْلُ ابْنُ الْصَّلاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيْ مُقَدِّمَتِهِ[24] :الْنَّوْعُ الْتَّاسِعُ وَالْعِشْرُوْنَ مَعْرِفَةُ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ وَالنَّازِلِ.......أَصْلِ الْإِسْنَادِ أَوَّلَا: خِصِّيْصَة فَاضِلَةٌ مَنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسُنَّةِ بَالِغَةٌ مِنَ الْسُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ.

رُوِّيْنَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْإِسْنَادِ مِنَ الْدِّيْنِ، لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ.[25]

وَطَلَبُ الْعُلُوِّ فِيْهِ سُنَّةٌ أَيْضا وَلِذَلِكَ اسْتُحِبَّتْ الرِّحْلَةِ فِيْهِ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ،قَالَ (أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طُلِبَ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ سُنَّةٌ عَمَّنْ سَلَفَ.

وَقَدْ رُوِّيْنَا: أَنَّ (يَحْيَى بْنُ مَعِيْنٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيَلَ لَهُ فِيْ مَرِضِهِ الَّذِيْ مَاتَ فِيْهِ: مَا تَشْتَهِيْ ؟ قَالَ: بَيْتِ خَالِيْ وَإِسْنَادٌ عَالِيْ.

قُلْتُ: الْعُلُوِّ يُبْعِدُ الْإِسْنَادِ مِنَ الْخَلَلِ، لِأَنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَقَعَ الْخَلَلِ مِنَ جِهَتِهِ سَهْوَا أَوْ عَمْدَا فَفِيْ قِلَّتِهِمْ قِلَّةِ جِهَاتِ الْخَلَلِ، وَفِيْ كَثْرَتِهِمْ كَثْرَةِ جِهَاتِ الْخَلَلِ، وَهَذَا جَلِيِّ وَاضِحٌ.أ.هـ

وجَاءَفِيْ الْبَاعِثُ الْحَثِيْثُ: وَلَمَّا كَانَ الْإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ أُمَّةً مِّنَ الْأُمَمِ يُمْكِنُهَا أَنْ تُسْنِدَ عَنْ نَبِيِّهَا إِسْنَادِا مُتَّصِلَا غَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَلِهَذَا كَانَ طَلَبُ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ مُرَغِّبَا فِيْهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنِ حَنْبَلٍ: الْإِسْنَادِ سَنَةً عَمَّنْ سَلَفَ.

---

[23] «الخلاصة في أصول الحديث» (ص 53).

[24] مقدمة ابن الصلاح 115/1...ويعد هذا الكتاب أشهر كتاب في علم مصطلح الحديث على الإطلاق ذكر فيه ابن الصلاح (65) نوعًا من علوم الحديث ، وقد قال عنه ابن حجر فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره فلهذا عكف الناس عليه وساروا بسيره ، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ، ومستدرك عليه ومقتصر ، ومعارض له ومنتصر<ا.هـ

[25] انظر صحيح مسلم 1 / 15 والمدخل في اصول الحديث ص2 للحاكم.

وَقِيْلَ لِيَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ فِيْ مَرَضِ مَوْتِهِ: مَا تَشْتَهِيْ؟ قَالَ: بَيْتِ خَالِي، وَإِسْنَادُ عَالِيْ.

وَلِهَذَا تَدَاعَتْ رَغَبَاتُ كَثِيْرٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ النُّقَّادِ، وَالجَهَابِذَةِ الحُفَّاظِ، إِلَى الرِّحْلَةِ إِلَى أَقْطَابِ الْبِلَادِ، طَلَبَا لِعُلُوِّ الْإِسْنَادِ. وَإِنْ كَانَ قَدْ مَنَعَ مِنْ جَوَازِ الرِّحْلَةِ بَعْضُ الجَهَلَةِ مِنَ الْعُبَّادِ، فِيْمَا حَكَاهُ الرَّامَهُرْمُزِيّ فِيْ كِتَابِهِ الْفَاصِلِ.

ثُمَّ إِنَّ عُلُوَّ الْإِسْنَادِ أَبعْدُ مِنَ الخَطَأِ وَالْعِلَّةِ مِنْ نُزُوْلِهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِيْنَ: كُلَّمَا طَالَ الْإِسْنَادُ كَانَ النَّظَرُ فِيْ التَّرَاجِمِ وَالجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ أَكْثَرَ فَيَكُوْنُ الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ. وَهَذَا لَا يُقَابِلُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.